

الدعاء المستجاب

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.. البقرة آية 186، فمن أين عباس رضي الله تعالى عنه؟ قال: قالت البيهقي كتب يسمع ربنا دعاءنا يا محمد وانت ترزع أن بيننا وبين السماء خمسائة عام وغلقت كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت هذه الآية..

وقال الحسن: سببها أن قوما قالوا للشي صلي الله عليه وسلم: اقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناديه؟ فنزلت، وقال عطاء وقتادة لما نزل قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾.. غافر آية 60، قال يا قوم: في أي ساعة ندعوه؟ فنزلت أي إذا سالك عبادي عن العبود فأخبرهم يا محمد أنه قريب يلبي على الطاعة ويحبب الداعي وأنه قريب من أوليائه بالأفضال والأتعام، لقد امر الله عبياده بالدعاء وحض عليه وسماه عبادة ووعد بانه يستجيب لهم.

فمن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أعطيت أمتي ثلاثا لم تعط إلا الأنبياء كان الله إذا بعث نبيا قال: ادعني أستجب لك. وقال لهذه الامه ادعوني أستجب لكم، وكان الله إذا بعث نبيا قال له: ما جعل عليك في الدين من حرج. وقال لهذه الامه: ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله إذا بعث نبي جعله شهيدا على قومه وجعل هذه الامه شهداء على الناس.

وللدعاء شروطه وآدابه حتى يستجيبه الله تعالى وأولها اجتناب الاعتداء للمنع من الإجابة حيث قال في آية أخرى: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾، ولا يدعو الداعي يائمه أو قطعية رحم وما لم يستعجل والأياكل الداعي الحرام ففي الحديث: (ما يال الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له ذلك).

وقد قال العلماء أن اجابة الدعاء لا بد لها من شروط في الداعي وفي الدعاء وفي المدعو به، فمن شرط الداعي أن يكون علما بأنه لا يقدر على حاجته إلا الله تعالى وأن الوسائط في قبضته ومسخرة يستخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فإن الله تعالى لا يستجيب من قلب غافل لاه، وأن يكون محتجنا لأكل الحرام، ولا يمل من الدعاء.

ومن شرط المدعو فيه أن يكون من الأمور الجائزة للطلب والفعل شرعا كما قال مالم يدع يائمه أو قطعية رحم فيدخل في الإثم كل ما يائمه به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومقتلهم، وأما شروط الدعاء فسبعة أولها التضرع والخوف والرجاء والرؤء والخشوع والعموم وأكل الحال.

وقال ابن عطاء أن الدعاء أركانها واجتحة وأسبابها وأوقاتها فإن وافق أركانها قوي وإن وافق اجتحتته طار في السماء وإن وافق مواقيته فأن وإن وافق أسبابها نجح فأركانه حضور القلب والرغبة والاستكاثرة والخشوع واجتحة الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل شرائط الدعاء أربعة أولها حفظ القلب عند الوحدة وحفظ اللسان مع الخلق وحفظ النظر إلى ما لم يحل وحفظ البطن من الحرام.

وقد قيل لإبراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ قال لأن قلوبكم قد ماتت. قالوا وما الذي أمانتها؟ قال عشر خصال قالوا وما هي؟ قال عرفتم حق الله ولم تطيعوه، وعرفتم حق الرسول ولم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن ولم تعملوا به، وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتوه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الاموات ولم تعثروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس فأسخطم ربكم وخالفكم فكيف يستجيب الله بعد ذلك لدعائكم.

والدعاء المطلوب في كل الاوقات غير أنه في بعض الاوقات أكبر ومن هذه الاوقات السجود وعند الأذان والإقامة وبينهما في السحر وعند جلوس الخطيب بين الخطبتين ويوم الجمعة وعند نزول المطر وعند التقاء الجيشين وفي الثلث الأخير من الليل وفي المرض وفي السفر وليلة النصف من شعبان وليلة القدر وفي الصيام وليلتي العيدين ويوم عرفة وهو في بعض الأماكن أجدر بالقبول في المساجد وعند قبر الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وفي الروضة الشريفة وفي المسجد الحرام وفي المسجد الأقصى وفي مقام إبراهيم وفي حجر إسماعيل ووفق عزراة وعند المزدلفة والدعاء مقبول ولكن هناك دعوات لا يرد الله تعالى وهي دعوة الصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم ودعوة المرأة إلى أخيه في ظهر الغيب ودعوة الوالد لولده أو عليه ودعوة الإمام العادل ودعوة المسافر ودعوة الغائب للغائب ودعوة الرسل والأنبياء والصالحين والدعاء باسم الله الأعظم والدعاء بالأمور من القرآن والسنة وأثار الصالحين. والدعاء تتنوع الإجابة له فقد يعطي ثمره مطلوبه وقد يرفع الله عنه به مكروها وقد يدخر له من الكرامة في الآخرة ما هو في حاجة إليه وخير دعوة هي ما أخرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للشاعة لأمته يوم القيامة فهي ثالثة أن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا.

ومن المواقف الإيمانية في الدعاء المألور أن نبي الله موسى عليه السلام كان يرعى غنم الرجل الصالح الذي استأجره (نبي الله شعيب) فنزل بها يوما في واد يقال له وادي الذئاب، ونظر حوله فإذا بالذئاب تحيط بغنمه من كل جانب وقد أدركه النعب والنصب ولم يبق على رعيها فاجتة إلى الله يدعو دعاء المظطر قائلا اللهم أحاط سبعة علك وسبعة تدبيرك وتعدت أدراكك وكلت جلتي وأنت تعلم أني مؤتمن عليها رعايها والتي يعصاه وثام فلما استيقظ وجد الذئاب تحيط بغنمه حتى لا تشرذ منها الشاه ووجد كبير الذئاب وقد أمسك بعصاه، فقال إني وسيدي ما هذا الذي أراه؟ فقال الله تعالى يا موسى لا تعجب مما ترى يا موسى كن لي كما أريد أكن لك ما تريد.



يَحْفَظُكَ وَتَقَدِّسُ لَكَ» أي تظهر أنفسنا لك.

وجبريل عليه السلام يسمى الروح القدس لمطهرته من العيوب في تبليغ الوحي إلى الرسل أو لأنه خلق من الطهارة، ولا يكلي في تفسير القدوس بالنسبة إلى الله تعالى أن يقال إنه منزه عن العيوب والتفانص فإن ذلك يكاد يقرب من ترك الأدب مع الله. فهو سبحانه منزه عن أوصاف كمال الناس المحدودة كما أنه منزه عن أوصاف نقصهم، بل كل صفة نتصورها للخلق هو منزه عنها وعما يشبهها أو يماثلها.

السلام

تقول اللغة هو الأمان والأمنئان، والحصانة والسلامة، ومادة السلام تدل على الخلاص والنجاة. وأن القلب سليم هو الخالص من العيوب، والسلم (يفتح السين أو كسرهما) هو السلامة وعدم الحرب، الله السلام لأنه ناشر السلام بين الأنام، وهو مانح السلامة في الدنيا والآخرة، وهو المنزه ذو السلامة من جميع العيوب والتفانص لكماله في ذاته وصفاته والفعاله.

فكل سلامة معزوه إليه صادرة منه، وهو الذي سلم الخلق من ظلمه، وهو المسلم على عباده في الجنة، وهو في رأى بعض العلماء بمعنى القدوس.

والإسلام هو عنوان دين الله الخاتم وهو مشق من مادة السلام

الذي هو الإسلام المرء نفسه لخالفها، عهد منه أن يكون في حياته سلما وسلاما لخن بسلمه، وتحية المسلمين بينهم هي (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

والرسول صلى الله عليه وسلم يكنى من الدعوة إلى السلام يقول: السلام من الإسلام.. افشوا السلام تسلموا.. ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الانصاف مع نفسه، وبدل السلام للعالم، والاتفاق من الأقارب (أي مع الحاجة).. افشوا السلام بينهم.. اللهم أنت السلام، ومنك السلام، واليك يعود السلام، فحينا ربنا بالسلام.

القدوس

تقول اللغة إن القدس هو الطهارة، والأرض المقدسة هي الظهرة، والبيت المقدس، الذي يظهر فيه من الذنوب، وفي القرآن الكريم على لسان الملائكة وهم يخاطبون الله «وَنَحْنُ سُبْحٌ

الله تعالى الملك المستغنى بذاته وصفاته وأفعاله عن غيره، المحتاج إليه كل من عدا.. يملك الحياة والموت والبعث والنشور. والملك الحقيقي لا يكون إلا الله وحده، ومن عرف أن الملك لله وحده إبنى أن يذل مخلوق، وقد يستغنى العبد عن بعض أشياء ولا يستغنى عن بعض الأشياء فيكون له نصيب من الملك، وقد يستغنى عن كل شيء سوى الله، والعبد ملكته الخاصة قليلة.. وجنده شهوته وغضبه وهواه.. وريته لسانه وعيناه وباقى أعضائه. فإذا ملكها ولم تملكه فقد خال

أولا.. وبالإلهاية إلى الإيمان وأسباب السعادة. ثانيا.. والإسهاد في الآخرة. ثالثا.. والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعا.. الرحمن هو المنعم بما لا يتصور صور جسده من العباد، والرحيم هو المنعم بما يتصور صور جسده من العباد

الملك

الملك هو الظاهر بعز سلطانه، الغنى بذاته، المتصرف في اكوانه بصفاته، وهو المتصرف بالأمم والنبي، أو الملك لكل الأشياء،

تعالى في طباع الناس الرقة وتفرّد بالإحسان. ولا يطلق الرحمن إلا على الله تعالى، إذ هو الذي وسع كل شيء رحمة، والرحيم تستعمل في غيره وهو الذي كثرت رحمته، وقيل إن الله رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، وذلك أن إحسانه في الدنيا يعم للمؤمنين والكافرين.. ومن الآخرة يخص بالمؤمنين.

اسم الرحمن أخص من اسم الرحيم، والرحمن نوعا من الرحمن، وأبعد من مقدور العباد فالرحمن هو العطوف على عباده بالإيجاد..

المؤمن يحب الله ورسوله

ولا عليه أن يتخذ الأموال والمتاجر والمساكن ولا عليه أن يستمتع بزيئة الله والطيبات من الرزق في غير الفكر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون × قل أن كان أبواؤكم وإبنأؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترضوا حتى يأتي الله بامرء والله لا يهدي القوم الظالمين».. سورة التوبة الآيات 23 و24.

تلك هي عقيدة الإيمان وذلك لمها وجوهها، لأنها لا تحتمل لها في القلب شريكا، فاما تجرد لها وإما إشلاخ منها.

وليس المقصود انقطاع المؤمن عن ذي رحمة، بل إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب ويخلص لها الحب وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة وهي الحركة والدافعة فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة على أن يكون مستعدا ليتزما كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة.

ومعترق الطريق هنا هو إما أن تسيطر العقيدة أو يسيطر المتاع وأن تكون الكلمة الأولى للعقيدة أو لغرض من أغراض هذه الأرض فإذا اطمان المسلم إلى أن قلبه خالص لعقيدته فلا عليه بعد هذا أن يستمتع بالإنباء والإخوة والعشيرة.

يقول رب العزة في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنذِرُكُمْ وَأَخَوَانِكُمْ أُولَئِكَ أَنِ اسْتَحْبُوا الْفَكْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ × قل أن كان أبواؤكم وإبنأؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترضوا حتى يأتي الله بامرء والله لا يهدي القوم الظالمين».. سورة التوبة الآيات 23 و24.

تلك هي عقيدة الإيمان وذلك لمها وجوهها، لأنها لا تحتمل لها في القلب شريكا، فاما تجرد لها وإما إشلاخ منها.

وليس المقصود انقطاع المؤمن عن ذي رحمة، بل إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب ويخلص لها الحب وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة وهي الحركة والدافعة فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة على أن يكون مستعدا ليتزما كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة.

ومعترق الطريق هنا هو إما أن تسيطر العقيدة أو يسيطر المتاع وأن تكون الكلمة الأولى للعقيدة أو لغرض من أغراض هذه الأرض فإذا اطمان المسلم إلى أن قلبه خالص لعقيدته فلا عليه بعد هذا أن يستمتع بالإنباء والإخوة والعشيرة.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرَ الَّذِينَ يَشْرِكُونَ بِهِ وَيُغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾. ومن مات مشركا - والعياذ بالله، حرم الله عليه الجنة وماواه أنارا.

قال تعالى: «أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار».

والآيات في ذلك كثيرة، فمن أشرك بالله مات مشركا فهو من أصحاب

وهذا التجرد ليس مطالبا به الفرد وحده بل الجماعة والأمة كلها والدولة فلا يجوز أن يكون هناك اعتبار لعلاقة أو مصلحة يرتفع على مقتضيات العقيدة في الله ومقتضيات الجهاد في سبيل الله.

ولقد عرف الرجل الأول تلك المعاني وأتموا بها إيمانا راسخا فلم يجعلوا لمحبة الله ورسوله وحب الجهاد في سبيله شيئا يوازئها بل إنهم أفردها في الميدان وحدها فاستحقوا أن يكونوا رباةين.

ومن هذه المواقف التي أتروا فيها محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله موقف أم حبيبة أم المؤمنين بنت أبي سفيان حينما جاءها أبوها أبو سفيان ليقدم اعتذاره وأسفه لرسول صلى الله عليه وسلم عما فعلت قريش من مناصرتها حلفائها من قبيلة بكر على خلافه رسول الله من خزاعة وبخل ببيتها وجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فطوت الفراش عنه وسألهما عن سبب ذلك قائلا: يا بنتي ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ فقالت له: والله لقد أصابك بعدي شر.

ومن المواقف التي تتجلى فيها الإيمان وحب الله ورسوله ما حدث من عمر بن الخطاب لخاله العاص

بن هشام بن المغيرة حينما لقيه في الصف يوم بدر قاموهى عمر عليه

سبقة حتى قتله.

ومن هذه المواقف الإيمانية ما حدث

بالأعمال كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾. أي لا يرائي بعمله أحدا.

والرياء: هو طلب المنة في قلوب الناس، من غير صدق في نفسه، والتكلف يفعل خصال الخير ليقال عليه كذا وكذا، فما له في الآخرة من ثواب، لأنه لم يقصد وجه الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ياكم والشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء، يقول الله تعالى «يوم يجازى العباد بأعمالهم» أهنيوا إلى الذين

كنتم تراؤهم بأعمالكم في الدنيا فتنظروا هل تجدون عندهم جزاء».

الشرك بالله.. أكبر الكبائر

النار، كما أن من آمن بالله ومات مؤمنا فهو من أصحاب الجنة إذ عذب بالنار.

ومن الشرك الأكبر:

- الذبح والنذر لغير الله.

- السحر والكهانة والعرافة.

- اعتقاد النفع في أشياء لم تشرع: كاعتقاد النفع في الثنائم والعزائم ونحوها.

- الطواف حول القصور وعبادتها والاستعانة بأصحابها، باعتقاد أنهم يتقونهم ويقضون لهم حاجاتهم.

وهكذا دعائهم ونداءهم عند حصول الكربات والمكروهات.

- تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله.

أما النوع الثاني من الشرك: الرياء

الله هو الاسم الذي تقرر به الحق سبحانه وخص به نفسه، وجعله أول أسمائه وأضافها كلها إليه ولم يصفه إلى اسم منها، فكل ما يرد بعده يكون نعتا له وصفة، وهو اسم يدل دلالة العلم على الإله الحق وهو يدل عليه دلالة جامعة لجميع الأسماء الإلهية الأحادية، هذا الاسم (الله) سبحانه مختص بخواص لم توجد في سائر أسماء الله تعالى.

الخاصة الأولى: أنه إذا حذف الألف من قوله (الله) بقي الباقي على صورة لله وهو مختصر به سبحانه كما في قوله ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾... (الفتح - 7)، وإن حذفنا عن البقية اللام الأولى بقيت على صورة (له) كما في قوله تعالى ﴿لَهُ تَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

فإن حذفنا اللام الباقية كانت البقية هي قولنا (هو) وهو أيضا يدل عليه سبحانه كما في قوله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية والجمع، فإنه تقول: هما، هم، فلا تبقى الواو فيهما فهذه الخاصية موجودة في لفظة الله غير موجودة في سائر الأسماء.

الخاصية الثانية: أن كلمة الشهادة - وهي الكلمة التي بسببها ينتقل الكافر من الكفر إلى الإسلام - لم يحصل فيها إلا هذا الاسم، فلو أن الكافر قال: أشهد أن لا إله إلا الرحمن الرحيم، لم يخرج من الكفر ولم يدخل الإسلام، وذلك يدل على اختصاص هذا الاسم بهذه الخاصية.

الرحمن الرحيم

الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمة في الأصل رقة في القلب تستلزم النقل والإحسان، وهذا جائز في حق العباد، ولكنه محال في حق الله سبحانه وتعالى، والرحمة تستدعي مرحوما.. ولا مرحوم إلا محتاج، والرحمة منطوية على معنيي الرقة.. والإحسان.. فرق

أكل مال اليتيم

قال تعالى في شأن أموال اليتامي

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِسْرَافًا يُسْرِفُوا يَذَرُوهَا بِيَمِينِهِمْ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «مَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ»

ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف»..

قال العلماء: فكل ولي ليتيم إذا كان فقيرا فاكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحة، وتنمية ماله فلا يأس عليه، وما زاد على المعروف أربعة أقوال:

الأول: إنه الأخذ على وجه القرض.

والثاني: الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف.

والثالث: إنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملا.

والرابع: إنه الأخذ- عند الضرورة - فإن أبسر قضاء، وإن لم يوسر فهو في حل.

حكى عن بعض السلف قال: كنت في بداية أمري - مكيا على المعاصي وشرب الخمر، ففكرت يوما بصبي يتيم فقير فأخذته وأحسن إليه وأطعمته وكسوته، وأدخلته الحمام، وأزلت شعته، وأكرمه كما يكرم الرجل ولده بل أكثر، فبت ليلة بعد ذلك، فرايت في النوم أن القيامة قامت، ودعيت إلى الحساب، وأمر بي إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصي.

فصحتني الزبانية ليمضوا بي إلى النار، وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجرونني سحبا إلى النار.. وإذا بذلك اليتيم قد اعترضني في الطريق، وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربي حتى أشفع له إلى ربي، فإنه قد أحسن إلىي وأكرمني، فقالت الملائكة: إننا لم نؤمر بذلك، وإذا النداء من قبل الله -تعالى- يقول: «خلوا عنه فقد وهب له ما كان منه بشاعة اليتيم وإحسانه إليه».. قال: فاستقبلت وتيت إلى الله -عز وجل - وبذلت جهدي في إيصال الرحمة إلى اليتام.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «صنائع المعروف: تقى مصارع السوء وصدقة السر: تطفى غضب الرب، وصلة الرحم: تزيد في العمر».